المعاني الثواني للفصل والوصل في القراءات القرآنية

أ.م.د. محمد إسماعيل
المشهداني
جامعة الموصل

Dual Meanings of Separation and Junction in the Qoran Readings

Asst. prof .PhD. Muhammed Ismael Al Mashhdani

The present study demonstrates the dual meanings implied in the style of separation and junction in the Qor'an readings. It consists of three chapters.

Chapter one shows the definition and origin of dual meanings. It also shows when and how these meanings developed. Chapter two deals with the definition, purposes and positions of separation and junction. Also, it shows the letters related to separation and junction. Chapter three deals with the definition of Qoran readings and the rules of accurate and correct reading. Then, the researcher analyzed all the verses that have two readings, one of them includes separation and the other one includes junction.

At first, the researcher mentions the holy verse, then he mentions the Qoran readings applied on this verse, and the Ottoman copies of the Holy Qoran that support these readings. After that, the researcher mentions the first and the second meanings of separation junction through the contexts in order to show the secret of Qoran miraculous nature in this variety, and all the meanings of verses to be understood by the addressees. The conclusion shows the most important results of study.

الملخص

عُنيت هذه الدراسة بالكشف عن المعاني الثواني التي يحملها أسلوب الفصل والوصل في القراءات القرآنية، وقد قدمت للموضوع بثلاثة مداخل؛ عرَّفت في الأول بالمعاني الثواني ومتى ظهرت وكيف تطورت وأين استقرت، وعرَّفت في الثاني بالفصل والوصل وما المراد منه وأي الحروف تختص به وما هي مواضعه، وعرَّفت في الثالث بالقراءات القرآنية وضوابط القراءة الصحيحة، ثم حللت الآيات التي وردت فيها قراءتان إحداهما بالفصل وأخرى بالوصل في ثمانية مطالب، فتبين لنا بعد التحليل أن الجمل ليست على الوصل أو ترك الوصل (الفصل) البتة، بل هناك مواضع يجوز فيها الفصل والوصل باعتبارين، اعتبار يرجح الفصل وآخر يرجح الوصل، وهذا ما بدا واضحاً جلياً في الآيات القرآنية التي حصل فيها تغاير قرائي، فقُرِئت تارة بالفصل وأخرى بالوصل.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

شغل موضوع الفصل والوصل مكانة رفيعة في المباحث البلاغية، فهو من أبرز القضايا المرتكزة على الذوق البياني، لما له من صلة بالمعنى المراد، فكم من متكلم أفسد معناه بالوصل، ولم يكن حقه كذلك، أو بالفصل، والموضع موضع وصل! لذلك لم تكن قضية الفصل والوصل وأمرهما أمر حرف تُرِكَ تارة ووُجِدَ أخرى، بل هو أمر يتعلق بالمعنى الذي لا يصلح إلا بالوصل حيناً، وبالفصل آخر. هكذا كانت عبارة البلاغيين، وهكذا حفظناها، وبعد أن تخصصت في القراءات القرآنية ودلالاتها ألفيت مواضع عدة في القرآن الكريم تُقرأ تارة بالفصل وأخرى بالوصل، ووجدت المصاحف العثمانية تؤيد هذه القراءات السبعية الصحيحة فتثبت الواو في نسخ وتتركها في نسخ، الأمر الذي دفعني إلى الوقوف والتلبث بتأنٍ وروية عند هذه الآيات لدراستها وتحليلها، متسائلاً: ألا يقبل النص الأدبي عامة والقرآني خاصة إلا الفصل أو الوصل، أم أن هناك من السياقات ما يرشح الفصل باعتبار، والوصل بآخر؟ فكان البحث بثلاثة مداخل؛ الأول للمعاني الثواني، والثاني للفصل والوصل، والثالث للقراءات القرآنية، ثم حللت الآيات التي وردت فيها قراءتان إحداهما بالفصل وأخرى بالوصل في ثمانية مطالب، فأبدأ بذكر الآية الكريمة، ثم أذكر القراءات القرآنية الواردة فيها، والمصاحف العثمانية المؤيدة لها، وأبدأ بعدها بالمعنى الأول للفصل والوصل، ثم أنتقل إلى المعنى الثاني لهما من خلال السياق والقرائن المحيطة به، لأبين سر الإعجاز القرآني في هذا التنوع، وإحاطته بجميع المعاني المراد إيصالها إلى المتلقي، ثم ختمت البحث بخاتمة سطرت فيها أهم النتائج.

المدخل الأول: المعاني الثواني

ظهرت فكرة المعاني الثواني عند علمائنا الأوائل، فكان للجاحظ (ت٢٥٥هـ) وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) نظرات وشذرات في المعاني الثواني تنتثر هنا وهناك في كتبهما، وكان لأبي الحسن الرماني (ت٣٤٨هـ) بيان في فهم الإيجاز وإحساس عميق بما وراء النسق القرآني، وكانت للقاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ) لمحات طيبة تدخل في دائرة المعاني الثواني، وبقيت الفكرة منتثرة في كتبهم من غير تحديد لسماتها الفنية حتى جاء عبد القاهر الجرجاني

(ت٤٧١هـ) ففسر نظرية النظم تفسيراً ردها فيه إلى تلك المعاني التي تلتمس في ترتيب الكلام حسب مضامينه ودلالاته في النفس، وهي معانٍ ترجع إلى الإسناد وإلى خصائص مختلفة في المسند إليه والمسند، وفي أضرب الخبر، وفي متعلقات الفعل من مفعولات وأحوال، وفي الفصل والوصل بين الجمل، وفي القصر، وفي الإيجاز والإطناب، وهي نفسها الأبواب التي ألَّف منها من خلفوه علم المعاني، فالجرجاني أول من فسر نظرية النظم في اتساع وقدرة، وأول من قصد إلى المعاني الثواني قصداً وراء فكرة النظم[١].

إن الأسلوب الأدبي يتجاذبه معنيان؛ الأول سطحي يفهم من ظاهر النص، وهو إلى دلالته اللغوية أقرب، ولا يحتاج في الكشف عنه أكثر من الرجوع إلى الأصل اللغوي، ويستوي في فهمه عامة أهل اللغة، وهو المعنى الأول.

والثاني عميق يتعلق بالأول ويتسق معه، ويثريه، وقد سماه عبد القاهر الجرجاني (معنى المعنى) وسمي بعده بـ(المعنى الثاني) أو (الدلالة الثانية).

ولا تضاد بين المعنيين في نظم الكلام، بل هما متصلان مترابطان، فالغوص في المعنى الأول وسياقه يوصلك إلى المعنى الثاني ويكشف أسراره، وهو في القرآن الكريم وقراءاته أرفع وأحكم وأرق ما يكون من نظم وبيان وسحر، إذ جاءت معانيه الثواني أشبه به وأليق،وكانت فيضاً من الحقائق المرسومة المصورة التي ستظل مقدح زناد الفكر ما بقيت الحياة.

المدخل الثاني: الفصل والوصل

الفصل لغة: كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه، يقال: فَصَلْتُ الشيء فصلاً، والفَيْصل: الحاكم، والفَصيل: ولد الناقة إذا افْتُصِل عن أُمه، والمِفْصَل: اللسان؛ لأن به تُفصَل الأمور وتُميَّز[٢].

والوصل لغة: أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يَلْحَقَه، وَوَصَلْتُه به وَصْلاً، والواصِلَة في الحديث هي التي تَصِلُ شعرها بشعرٍ آخر زوراً، وتقول: وَصَلْتُ الشيء وَصْلاً[١].

---

(١) ينظر: المعاني الثانية في الأسلوب القرآني/ ٦-٧، د. فتحي أحمد عامر، مطبعة أطلس، القاهرة – مصر، ط١، ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.

(٢) مقاييس اللغة/ ٨١٨ (فصل)، ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: د. محمد عوض مرعب، وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

أما في اصطلاح علم المعاني فالفصل هو ترك العطف بين الجملتين، والوصل هو عطف الجملة على الجملة بأحد حروف العطف وهو الواو، قال أحمد مصطفى المراغي: "الفصل والوصل هو العلم بمواضع العطف، أو الاستئناف، والتهدِّي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند عدم الحاجة إليها"[٢]، وإنما اختصت الواو من دون سائر حروف العطف كالفاء وثم؛ لأن الواو ليس لها أي معنى آخر غير الإشراك، فإذا أردنا التعقيب أتينا بالفاء، وإذا أردنا التراخي أتينا بثم، أما الذي يحتاج إلى دقة في المسلك ولطف في المأخذ في الفصل والوصل بين الجمل فهو الواو.

وقد احتل هذا الموضوع منزلة رفيعة عند البلاغيين، ولكونه دقيق المسلك لطيف المأخذ جعله بعضهم حدّاً للبلاغة، قال عبد القاهر الجرجاني: "اعلْم أنَّ العلَم بما ينبغي أَنْ يُصْنَعَ في الجملِ من عطفِ بعضها على بعضٍ، أو تركِ العطفِ فيها والمجيءِ بها منثورةً تُسْتَأْنَفُ واحدةٌ منها بعد أخرى من أسرارِ البلاغة، ومما لا يتأتَّى لتمامِ الصَّوابِ فيه إلاَّ الأعرابُ الخُلَّص، وإلا قومٌ قد طُبِعُوا على البلاغة، وأوتوا فنّاً مِنَ المعرفة في ذوقِ الكلامِ هم بها أفرادٌ. وقد بلغَ من قوة الأمر في ذلك أنَّهم جعلوه حدّاً للبلاغة، فقد جاء عَنْ بعضهم أنه سُئِل عنها فقال: مَعْرِفَةُ الفَصلِ مِنَ الوصلِ ذاك لغموضِه ودِقَّةِ مَسْلكِه، وأنَّه لا يَكْمُلُ لإحرازِ الفضيلة فيه أحدٌ إلاَّ كَمَلَ لسائرِ معاني البلاغة"[٣].

أما مواضع الفصل والوصل فقد لخصها عبد القاهر الجرجاني بقوله: "الجمل على ثلاثةِ أضربٍ؛ جملةٌ حالُها مع التي قبلَها حالُ الصفةِ مع الموصوفِ والتأكيدِ مع المؤكَّدِ، فلا يكونُ فيها العطفُ البتَّةَ لشَبهِ العطف فيها لو عُطِفَتْ بعطفِ الشيءِ على نفسه.

وجملةٌ حالها مع التي قبلها حالُ الاسمِ يكونُ غيرَ الذي قبلَه إلا أنه يشارِكُه في حكمٍ ويدخلُ معه في معنى مثل أن يكون كِلا الاسمينِ فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه فيكون حقُّها العطف.

---

(١) المصدر نفسه/ ١٠٥٥ (وصل).

(٢) علوم البلاغة/ ١٩٣، المراغي، أحمد مصطفى، مطبعة محمد محمد مطر، العتبة الخضراء، ١٣٣٥هـ=١٩١٧م.

(٣) دلائل الإعجاز في علم المعاني/ ١٤٨، الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت٤٧١هـ)، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

وجملةٌ ليست في شيءٍ مِنَ الحالين بل سبيلُها مع التي قبلها سبيلُ الاسم مع الاسم لا يكونُ منه في شيءٍ فلا يكونُ إياه ولا مشاركاً له في معنًى بل هو شيءٌ إن ذُكر لم يُذْكَر إلا بأمرٍ ينفردُ به، ويكونُ ذِكْرُ الذي قبلَه وتركُ الذِّكْرِ سواءٌ في حالِه لعدم التعلقِ بينه وبينَه رأساً . وحقُّ هذا تركُ العطفِ البتَّةَ .

فتركُ العطفِ يكونُ إمَّا للاتصالِ إلى الغايةِ أو الانفصال إلى الغايةِ، والعطفُ لما هو واسِطَةٌ بينَ الأمرين وكانَ له حالٌ بينَ حالين فاعرِفه"[1].

ونزيد على ذلك ضرباً رابعاً تكون فيه الجملة مع التي قبلها ذات حالين لاعتبارين، اعتبار يرشح الفصل وآخر يرشح الوصل، وهذا ما سنعرفه في أثناء دراستنا للمعاني الثواني للفصل والوصل في القراءات القرآنية.

المدخل الثالث: القراءات القرآنية

القراءات جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر (قرأ)، يقال: قرأ يقرأ قراءة.

أما في اصطلاح علماء القراءات فهي: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها، معزواً لناقله"[2]؛ ذلك أن القرآن نُقِلَ إلينا لفظه ونصه كما أنزله الله تعالى على النبي محمد ρ ونُقِلَتْ إلينا كيفية أدائه كما نطق بها النبي ρ، وفقاً لما علمه جبريل υ، وقد اختلف الرواة الناقلون، فكل منهم يعزو ما يرويه بإسناد صحيح إلى النبي ρ.

وقد وضع علماء القراءات ثلاثة ضوابط للقراءة الصحيحة؛ الأول: صحة الإسناد وهو نقل جماعة عن جماعة تحيل العادة تواطؤهم على الكذب من أول السند إلى منتهاه، والثاني: موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، أي أن توافق القراءة أحد المصاحف التي نسخها عثمان بن عفان τ وأرسلها إلى الأمصار الإسلامية كافة، والثالث: موافقة وجه من أوجه اللغة العربية، وهو ضرورة بدهية، لأن القرآن بلسان عربي مبين، فلا تخرج إحدى قراءاته عن وجه ما من وجوه كلام العرب السائغة في لغتهم، والشائعة على ألسنتهم، وهي كلها تدور بين الفصيح والأفصح، إما مجمعاً عليه أو مختلفاً فيه، لقول ابن الجزري (ت٨٣٣هـ): "وقولنا في الضابط: ولو بوجه، نريد به وجهاً من وجوه النحو سواء كان أفصح

---

(1) دلائل الإعجاز/ ١٦١.

(٢) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر/ ٦، البناء الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

أم فصيحاً، مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح"[1].

والتغاير القرائي في فرش الحروف يسلم في كثير من الأحيان إلى القول بتنوع المعاني على الموضع الواحد بحسب ما يمليه السياق ويقتضيه المقام، والفصل والوصل من أبرز أنواع التغاير القرائي، إذ تتعاقب القراءات القرآنية على الموضع الواحد بإثبات الرابط اللفظي (الواو) وحذفه، يؤيدها في ذلك التنوع الحاصل في رسم المصاحف العثمانية التي وُزِّعت على الأمصار الإسلامية، مما دفعنا إلى الوقوف عند هذه المواضع من القرآن الكريم بما تعاقب عليها من قراءات صحيحة والكشف عن معانيها العميقة في ثمانية مطالب.

المطلب الأول: قالوا... - وقالوا...

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦].

قرأ ابن عامر (قالوا...) بغير واو، وقرأ الباقون (وقالوا...) بالواو[2]، وقراءة ابن عامر موافقة لرسم مصاحف أهل الشام، وقراءة الباقين موافقة لرسم سائر المصاحف[3].

واختلف أصحاب اللغة والمفسرون في تعليل الفصل والوصل في هذه الآية، فذهب الأزهري (ت٣٧٠هـ) إلى أن المعنى واحد، وأن القراءة بالواو أعجب إليه؛ لأن زيادة حرف

---

(1) النشر في القراءات العشر: ١٦/١، ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي (ت٨٣٣هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

(2) ينظر: التيسير في القراءات السبع/ ٦٥، أبو عمرو الداني، تحقيق: أوتويرتزل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.

(3) ينظر: الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف/ ٨٩، ابن وثيق الأندلسي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت٦٥٤هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري، مطبعة العاني، بغداد – العراق، ط١، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

يستوجب به القارئ عشر حسنات، والواو تُعطَف بها جملة على جملة[1].

وفرق ابن خالويه (ت٣٧٠هـ) بين القراءتين، وعلل ترك الواو بترك العطف على ما قبله، والإخبار بالقول مستأنفاً به، وعلل إثبات الواو بأنهم عطفوا جملة على جملة، وأتوا بالكلام متصلاً بعضه ببعض[2].

أما أبو علي النحوي (ت٣٧٧هـ) فذهب مذهب ابن خالويه، إلا أنه أضاف تعليلاً آخر لترك الواو مفاده أن جملة (قالوا...) ملابسة بما قبلها من قوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ [البقرة: ١١٤]، ومن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه جميع المتظاهرين على الإسلام من صنوف الكفار بقتالهم المسلمين، لأن جميع المتحزبين على أهل الإسلام مانعون لهم من إحياء المساجد بالذكر لشغلهم لهم بالعداوة عن لزومها[3]، وبهذا يكون الذين (قالوا أتخذ الله...) من جملة هؤلاء الذين تقدم ذكرهم، فيستغنى عن الواو لالتباس الجملة بما قبلها.

إن الوصل بالواو يجعل الجملة معطوفة على ما قبلها، فهي مكملة لتعداد جرائم أولئك الأقوام التي ذكرت قبلها وبعدها من قوله: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:١١١] ثم قوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة:١١٣] ثم قوله: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ [البقرة:١١٦] ثم قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ

---

(1) ينظر: معاني القراءات/ ٦٠، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

(2) ينظر: الحجة في القراءات السبعة/ ٣٧، ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

(3) ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٣٦٩/١–٣٧٠، أبو علي النحوي، الحسن بن أحمد (ت٣٧٧هـ)، تحقيق: كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م ، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٢٨/١، البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت٨٥٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:١١٨]، ثم قوله: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وهي بعطفها على ما قبلها تشمل اليهود إذ جعلوا عزيراً ابن الله، والنصارى إذ قالوا عيسى ابن الله، والذين لا يعلمون (المشركين) لأنهم قالوا الملائكة بنات الله، فالضمير لما سبق ذكره من هؤلاء، وجاءت لفظة (ولداً) صالحة للذكر والأنثى فاشتملت على مقالاتهم جميعها.

وأما الفصل بترك الواو فيدل على قبح قولهم ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ وكأنما ما سبقه لا يعد شيئاً إذا ما قيس به، فهو أقبح مما سبقه وأشنع وأفظع، فبعد أن أخبر الله Y عن بعض افتراءاتهم وقبائحهم وشرك بينها بالواو أتى بما هو أنكى منها جميعاً من غير واو، وكأنه قيل: هل انقطع خيط إسهابهم في الافتراء على الله Y أم امتد؟ فقيل: بل امتد إذ قالوا ما هو أشد من كل ما تقدم، وأوغل في الكفر، وأحق بالمقت والعقوبة والعذاب، قالوا ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فبالفصل إشارة إلى كل من قال بذلك فضلاً عمّن عُطِفَ عليه، ودلالة على شدة التباسها بما قبلها، وخصوصيتها إذ لا شيء أعظم قبحاً وأشد نكاية من ذلك.

المطلب الثاني: سارعوا... - وسارعوا...

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

قرأ نافع وابن عامر (سارعوا...) بغير واو، وقرأ الباقون (وسارعوا...) بالواو[1]،

([1]) ينظر: التيسير/ ٧٥.

وقراءة نافع وابن عامر موافقة لرسم مصاحف أهل المدينة والشام، وقراءة الباقين موافقة لرسم مصاحف العراق[1].

ذهب أبو علي النحوي إلى أن الواو تعطف جملة على جملة، والمعطوف عليها قوله: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وعلل ترك الواو بأن جملة (سارعوا...) ملتبسة بجملة (وأطيعوا...) مستغنية بالتباسها بها عن عطفها بالواو[2]، لأن الضمائر غير مختلفة والمأمورون غير مختلفين[3].

إن القراءة بالواو تجعل جملة (وسارعوا...) متصلة بجملة (وأطيعوا...)، والذي يبيح الوصل فيهما أنهما جملتان إنشائيتان تدلان على الأمر، وتركيب الوصل فيهما يجعل منهما جملتين متغايرتين في دلالتهما؛ إذ الأولى أمر بطاعة الله ورسوله، والثانية أمر بالمسارعة إلى مغفرته، وعلى كل مؤمن أن يتحلى بهاتين الصفتين، يبدأ بالطاعة، ويثني بالمسارعة في طلب المغفرة.

وأما القراءة بترك الواو فتجعل جملة (سارعوا...) منفصلة عن جملة (وأطيعوا...)، وذلك لما يلحظ بينهما من كمال الاتصال، فتركيب الفصل يجعل من قوله (سارعوا...) عطفَ بيانٍ لقوله (وأطيعوا...) أو بدلَ اشتمالٍ منه، وكأنه بعد أن أُمِرنا بطاعة الله Y ورسوله ρ، جاءت جملة (سارعوا...) لتبين لنا أن الطاعة الحقيقة الصادقة لله ورسوله إنما تكون بالمسارعة إلى الامتثال لما يفضي إلى مغفرته ويؤدي إلى جنته I.

المطلب الثالث: يقول... - ويقول...

قال الله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٣].

---

(1) ينظر: الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف/ ٩٠.

(2) ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٣٨/٢.

(3) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ٣٥٦/١، القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية، دمشق – سورية، ط١، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.

قرأ نافع وابن كثير وابن عامر (يقول...) بغير واو، وقرأ الباقون (ويقول...) بالواو، وانفرد أبو عمرو بنصب (يقولَ) والباقون يرفعونها[1]، وقراءة نافع ومن وافقه موافقة لرسم مصاحف أهل المدينة ومكة والشام، وقراءة الباقين موافقة لرسم مصاحف أهل العراق[2].

ذهب أبو علي النحوي إلى أن علة الفصل "أن في الجملة المعطوفة ذكراً من المعطوف عليها، وذلك أن من وصف بقوله: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞ﴾ إلى قوله: ﴿نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢]، هم الذين قال فيهم الذين آمنوا: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ [المائدة: ٥٣] فلما صار في كل واحدة من الجملتين ذكرٌ من الأخرى حسن عطفها بالواو وبغير الواو"[3].

والذي يبدو أن الفصل بين جملة (يقول...) والجملة التي سبقتها لشبه كمال الاتصال، فهو استئناف بياني، والمراد بذلك "أن تأتي الجملة الثانية جواباً عن سؤال فُهِم من الجملة الأولى"[4]، وكأنما سأل سائل بعد انتهاء قوله: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾ ماذا قال المؤمنون حينئذ؟ فجاء قوله (يقول...) بعد ذلك جواباً عن هذا السؤال المقدر، وقولهم هذا إمّا أن يقوله بعضهم لبعض تعجباً من حالهم واغتباطاً بما منّ الله عليهم من التوفيق في الإخلاص، وإمّا أن يقولوه لليهود لأنهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة[5].

وأما الوصل بالواو فمن عطف الجملة على الجملة، ورفع (يقولُ) على القطع من الأول فالواو استئنافية وما بعدها جملة ابتدئ بالإخبار بها[6]، وهذه القراءة قريبة في معناها من قراءة

---

(1) ينظر: التيسير/ ٨٢.

(2) ينظر: الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف/ ٩٢.

(3) الحجة للقراء السبعة: ١٢١/٢.

(4) البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)/ ٤٢٧، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان – الأردن، ط٧، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

(5) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٦٢٠/١، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.

(6) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣٨٣/٧-٣٨٤، ابن عادل الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي (ت= =بعد٨٨٠ هـ)، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوّض، ود.محمد سعيد رمضان،= =ود. محمد متولي الدسوقي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

الفصل، والفرق بينهما أن في الفصل إثارة لسؤال في نفوس السامعين عن قول المؤمنين بعد ذلك، وبالواو وصل الكلام بعضه ببعض؛ لبيان حال المؤمنين بعد أن بين حال الذين في قلوبهم مرض.

ومن وصل ونصب (يقولَ) عطفه على قوله (فيصبحوا...)؛ لأن (يصبحوا) منصوب بإضمار في جواب الترجي بعد الفاء، إجراء للترجي مجرى التمني[1]، كقراءة عاصم برواية حفص: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۞ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر:٣٦-٣٧] بنصب (فأطَّلِعَ)، فيكون المعنى مرتبطاً بما أصبح عليه المنافقون من ندم، أي أن الذين آمنوا عندما شاهدوا خيبة رجاء المنافقين وندمهم، لانقلاب تقديراتهم وترقباتهم إلى الضد مما كانوا يتوقعون، قالوا لليهود مشيرين إلى المنافقين بتعجب: أهؤلاء الذين أقسمتم لهم بالله أقوى الأيمان وأغلظها أنكم موالوهم وترجون دولتهم وتظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة في السراء والضراء؟! حبطت أعمالهم وخسئوا فأصبحوا بإذن الله من الخاسرين.

المطلب الرابع: ما كنّا... - وما كنّا...

قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣].

قرأ ابن عامر (ما كنّا لنهتدي) بغير واو، وقرأ الباقون (وما كنّا لنهتدي) بالواو[2]،

([1]) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٣٠٧/٢، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري، وعبد العال السيد إبراهيم، مؤسسة دار العلوم، الدوحة – قطر، ط١، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م، واللباب: ٣٨٤/٧.

([2]) ينظر: التيسير/ ٩١.

وقراءة ابن عامر موافقة لرسم مصاحف أهل الشام، وقراءة الباقين موافقة لرسم سائر المصاحف[1].

ذهب أصحاب الاحتجاج للقراءات إلى أن وجه الفصل بترك الواو هو كون الجملة ملتبسة بما قبلها، فأغنى التباسها عن حرف العطف[2]، إذ بالفصل يجري قوله (ما كّنا لنهتدي) مجرى التفسير لقوله (هدانا لهذا)، فلما كان أحدهما عين الآخر حذف حرف العطف[3]، وعدّها ابن عاشور "كالتعليل للحمد والتنويه بأنه حمد عظيم على نعمة عظيمة"[4].

ووجه الوصل أنه عَطَفَ بالواو جملة على جملة، أي أن أهل الجنة بعد أن نزع الله ما في صدورهم من غل قالوا جملتين اثنتين مستقلتين من حيث المعنى، الأولى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾، والثانية: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾، فهم حمدوا الله Y على هدايته إياهم، واعترفوا له بالفضل على هذه الهداية، فلولا أن هداهم الله I ما كانوا ليهتدوا وما كان لهم أن يدركوا طريق الحق.

وعدّها العكبري –أي الواو– حالية[5]، أي الحمد لله الذي هدانا لهذا من غير أن كنا لنهتدي لما هدانا له، فهم في حال لم يكونوا فيها على أمل بالهداية لولا رحمة الله I.

يتبين من ذلك أن الفصل فيه تفصيل لمنة الحمد وتعليل لها وتنويه بعظمتها، وأن الوصل فيه تعداد لمنن الله Y؛ حمدٌ على هدايته إياهم، واعتراف له بالفضل على هذه الهداية، وفيه إشارة إلى حالهم التي لم يكونوا فيها على أمل بالهداية لولا رحمة الله I.

---

(1) ينظر: الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف/ ٩٥.

(2) ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٢٣٩/٢، والكشف: ٤٦٤/١، والموضح: ٥٢٨/٢، ابن أبي مريم، أبو عبد الله نصر بن علي (ت بعد٥٦٥هـ)، تحقيق: د. عمر حمدان الكبيسي، مكتبة التوعية العلمية، القاهرة – مصر، ط٣، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

(3) ينظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ٩٦/٧، الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

(4) التحرير والتنوير: ١٥٣٧/١، ابن عاشور، محمد الطاهر، مؤسسة التاريخ، بيروت . لبنان،ط١، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

(5) ينظر: إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن: ٢٧٤/١، العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت٦١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

المطلب الخامس: قال الملأ... - وقال الملأ...

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:٧٥].

قرأ ابن عامر (وقال...) بالواو، وقرأ الباقون (قال...) بغير واو[١]، وقراءة ابن عامر موافقة لرسم مصاحف أهل الشام، وقراءة الباقين موافقة لرسم سائر المصاحف[٢].

قال ابن خالويه: "حذفها (أي الواو) على الابتداء،...؛ لأن كلام صالح υ قد انتهى وابتدأ كلام قومه"[٣]، وهذا ما يعرف عند النحويين بالاستئناف النحوي، أي أن الكلام منقطع عن غيره، أو بتعبير آخر ما كان مبتدأ به، فهي جملة قريبة عندهم من الجملة الابتدائية، لكن الذي يبدو أن بين رد القوم وما قاله صالح υاتصالاً واضحاً، فالاستئناف مبني على سؤال ينساق إليه المقال وهو ما يعرف عند أهل المعاني بالاستئناف البياني أو شبه كمال الاتصال، وكأنه قيل: فماذا قالوا بعدما سمعوا منه هذه المواعظ؟ فقيل : قال أشراف قومه المستكبرون متطاولين عليه υ وعلى أصحابه المستضعفين غير مكتفين بمجرد الاستعصاء بل بالغين من العتو مبلغاً عظيماً .

والذي يؤيد هذا المعنى ما وجدناه في هذه السورة من قصص للأنبياء وقد ورد فيها أقوال الملأ بعد دعوة أنبيائهم مجردة من الواو[٤]، فقال الله تعالى في قصة نوح υ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأعراف:٥٩-٦٠]، وقال تعالى في قصة هود υ: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [الأعراف:٦٥-٦٦]، وقال تعالى في قصة شعيب υ: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ... ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى

---

(١) ينظر: التيسير/ ٩١.

(٢) ينظر: الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف/ ٩٥-٩٦.

(٣) الحجة في القراءات السبع /٨٦.

(٤) تنظر: قراءة عاصم برواية حفص- دراسة دلالية، د. محمد إسماعيل المشهداني، أطروحة دكتوراه بإشراف: د.عماد عبد يحيى الحيالي، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٧م.

مِلَّتِنَآ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ [الأعراف:٨٥– ٨٨]، وقال تعالى في قصة موسى υ: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ ... ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف:١٠٣–١٠٩].

إذ جاءت أقوال قوم نوح وهود وشعيب وموسى عليهم السلام مستأنفة استئنافاً بيانياً مبنياً على سؤال نشأ من حكاية قولهم عليهم السلام ونصحهم لأقوامهم، وكأنه قيل: فماذا قالوا بعد ما قيل لهم ذلك؟ فقيل: قال الملأ...إلخ، ومثلها جاء رد قوم صالح υ في أغلب القراءات مفصولاً على طريقة الاستئناف البياني.

أما الوصل بالواو فهو عطف جملة على جملة، أي عطف جواب القوم على ما قاله صالح υ، كما تقول: قال زيد وأجابه عمرو، أو أن قول الملأ معطوف على كلام مقدر دل عليه قوله: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾، والتقدير : فآمن به بعض قومه وقال الملأ من قومه... إلخ، ولعل هذا هو الذي سوغ لهذا الموضع أن تأتي فيه قراءتان دون المواضع الأخر لأن قول الملأ فيه موجه إلى قوم صالح المستضعفين لا إلى صالح υ.

يتبين من ذلك أن الفصل والوصل في هذا الموضع باعتبارين، الفصل باعتبار سؤال ينساق إليه المقال وهو ما يعرف عند أهل المعاني بالاستئناف البياني أو شبه كمال الاتصال، والوصل باعتبار عطف جواب القوم على ما قاله صالح υ، أو أن قول الملأ معطوف على كلام مقدر دل عليه قوله: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾.

المطلب السادس: الذين... - والذين...

- قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [التوبة:١٠٧].

قرأ نافع وابن عامر (الذين...) بغير واو، وقرأ الباقون (والذين...) بالواو[١]، وقراءة نافع وابن عامر موافقة لرسم مصاحف أهل المدينة والشام، وقراءة الباقين موافقة لرسم سائر المصاحف[٢].

---

(١) ينظر: التيسير/ ٩٨.

(٢) ينظر: الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف/ ٩٧.

الوصل بالواو يجعل من جملة (والذين...) جملة معطوفة على ما قبلها لأنها ذكر لفريق آخر مثل من ذكر فيما قبلها من المنافقين من نحو قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ... ﴾ [التوبة:٥٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ ... ﴾ [التوبة:٦١]، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ ... ﴾ [التوبة:٧٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ... ﴾ [التوبة:١٠٦]. أي منهم من يلمزك، ومنهم الذين يؤذون النبي، ومنهم من عاهد الله، ومنهم آخرون مرجون، ومنهم الذين اتخذوا مسجداً[١].

وأما الفصل فمنهم من حمله على كمال الاتصال إذ أبدل هذه الجملة من قوله تعالى قبلها: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:١٠٦][٢]، وفيه نظر لأن هؤلاء الذين اتخذوامسجداً ضراراً، لا يُقال في حَقِّهم إنهم مُرْجَوْن لأمر الله، لأنه روى في التفسير أنهم من كبار المنافقين كأبي عامر الراهب، وقد أخبر القرآن عنهم أنهم لا يؤمنون، ولا تثلج قلوبهم بالإيمان في قوله: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:١١٠]، فإذا وقع الخبر بتاتاً على أنهم لا يؤمنون حتى الممات، والمُرجون لأمر الله قد جُوِّز عليهم الإيمان، تبين أنه لم يجز أن يُبدلوا منهم[٣]. وإذا امتنع البدل تعين أن تكون الجملة ابتدائية مستأنفة، وفي ذلك إشارة إلى شناعة فعلهم، ودلالة على الاختلاف بين حالهم وحال من ورد ذكره من قبل.

يتبين من ذلك أن الوصل يدل على اتصال أصناف المنافقين التي وردت في سورة براءة من قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ... ﴾ ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ ... ﴾ ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ ... ﴾ ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ... ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا ... ﴾، أي ومنهم الذين اتخذوا مسجداً ضراراً.

وأما الفصل ففيه فصل لهؤلاء المنافقين وقطع، وفيه دلالة على ذمهم والتشنيع بهم، فهم الذين لم يكتفوا بنفاقهم بل اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، وفي الفصل تنبيه على خطورة هذا الصنف من المنافقين فمسجدهم مكيدة للإسلام، لا يراد به إلا الإضرار بالمسلمين، وإلا الكفر بالله، وإلا ستر

---

(١) ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٣٤٦/٢.

(٢) ينظر: الحجة في القراءات السبع /١٠٠.

(٣) ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٣٤٦/٢.

المتآمرين على الإسلام، الكائدين له في الظلام، وإلا التعاون مع أعداء هذا الدين على الكيد له تحت ستار الدين. هذا المسجد ما يزال يتخذ في صور شتى تلائم ارتقاء الوسائل الخبيثة التي يتخذها أعداء هذا الدين؛ إما في صورة نشاط ظاهره عزة المسلمين وباطنه ذلهم، أو في صورة تجمعات وتشكيلات وتنظيمات ترفع لافتة الدين عليها لتتترس وراءها وتحقق مصالحها وهي ترمي بهذا الدين!

ومن أجل مساجد الضرار الكثيرة هذه يتحتم كشفها وإنزال اللافتات الخادعة عنها، وبيان حقيقتها للناس وما تخفيه وراءها، ولنا أسوة في كشف مسجد الضرار على عهد رسول الله ρ بذلك البيان القوي الصريح المفصول عما قبله على قراءة من فصله.

المطلب السابع: أَلَمْ... - أَوَلَمْ...

قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٠].

قرأ ابن كثير (ألَم..) بغير واو، وقرأ الباقون (أَولَم..) بالواو [١]، وقراءة ابن كثير موافقة لرسم مصاحف أهل مكة، وقراءة الباقين موافقة لرسم سائر المصاحف[٢].

ذهب ابن خالويه إلى أن دخول الواو مع همزة الاستفهام سيان[٣]، وعدَّ مكي بن أبي طالب دخول الواو وصلاً للكلام بما قبله، وترك الواو فصلاً على استئناف الكلام[٤]، وهذا هو المعنى الأول للقراءتين.

وإذا رجعنا إلى الآيات التي سبقت هذه الآية وجدنا إخباراً من الله I عن زعم بعض العرب بأن الله قد اتخذ الملائكة بنات له، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾ [الأنبياء:٢٦]، تنزَّه الله I عن ذلك بل هم عبيده قد أكرمهم وقربهم لا يعملون إلا بأمره، قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۞ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٨]، وهؤلاء الملائكة من يدعي منهم الألوهية على سبيل الفرض والتقدير، فإن جزاءه

---

(١) ينظر: التيسير/ ١٢٦.

(٢) ينظر: الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف/ ١٠٩.

(٣) ينظر: الحجة في القراءات السبع/ ١٥٠-١٥١.

(٤) ينظر: الكشف: ٢/١١٠.

جهنم، وهو جزاء كل ظالم يدعي ذلك، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٢٩].

بعد هذه الآيات ورد قوله(ألم..) (أولم..) على القراءتين مستفهماً منكراً على هؤلاء كيف تركوا النظر والتأمل في أصل الخلق من فتق السماوات والأرض بعد أن كانتا شيئاً واحداً ملتصقتين، وكيف جعل من الماء الحياة، وكيف جعل الجبال ثوابت تمنع الأرض من الحركة والاضطراب، وغيرها من الآيات، أليس ذلك دليلاً على أنه الحق، وما سواه باطل، وأنه محيي الموتى، وأنه الرحمن الرحيم؟

وبالفصل استئناف للكلام وفيه معنى الوعظ ودلالة التذكير لجميع الكافرين، كيف يتبعون من يجعل لله ولداً وهو خالق كل شيء، وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده.

وبالوصل ربط للاحق بالسابق، فأنتم يا من تدعون لله الولد: وازنوا وقارنوا بين دعوتكم وما حولكم من الخلق الأول، ألم يكفي ذلك شاهداً على أنه Y واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

المطلب الثامن: قال موسى... - وقال موسى...

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [القصص:٣٧].

قرأ ابن كثير (قالَ...) بغير واو، وقرأ الباقون (وقالَ...) بالواو[1]، وقراءة ابن كثير موافقة لرسم مصاحف أهل مكة، وقراءة الباقين موافقة لرسم سائر المصاحف[2].

إن التنوع في القراءات القرآنية في مقامات الحوار بين الرسل وأقوامهم توحي بتنوع الدلالة حسب مقامات المتلقين وأحوالهم وما يصاحبها من قوة إيمان وضعف.

فالفصل بترك الواو على أصل حكاية المحاورات، إذ لما وصفوا ما جاء به موسى υ بالسحر والافتراء وأن ما قاله شيء ما علمه آباؤهم الأولون، أجاب موسى كلامهم بمثله في تأييد صدقه بأن الله Y أعلم بمن جاء بالحق والصدق، فما علم آبائهم في جانب علم الله بشيء.

وهذا ما يسميه علماء البلاغة بالاستئناف البياني أو شبه كمال الاتصال؛ لأن الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى υ عند تسميتهم مثل تلك الآيات العظام سحراً

---

(1) ينظر: التيسير/ ١٣٩.

(2) ينظر: الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف/ ١١٦.

مفترى في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [القصص:٣٦]، وكأن سؤالاً يختلج في نفوس السامعين: فماذا أجابهم موسى υ، فجاء الجواب على قراءة ابن كثير بالفصل: (قال...).

وأما الوصل بالواو فلأجل الموازنة بين القولين، وكأن إثباتها يحاكي غفلة القوم وترددهم بين الحق والباطل؛ لأن الله I أورد قولهم: ﴿قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ثم أورد جواب موسى υ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ ليوازن الناظر المحكي له بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر، وبالضد تتبين المعاني وتتضح الدلالات.

ومن ذلك يتبين أنه قد تحصل من مجموع القراءتين الوفاء بحق الخصوصيتين من مقتضى حالي الحكاية باعتبارين؛ الفصل على اعتبار سؤال مقدر يختلج في نفس المتلقي، والوصل على اعتبار موازنة يقيمها المتلقي بين القولين.

الـخـاتـمـة

حاولنا في هذا البحث الوقوف والتلبث بروية وإنعام نظر في القراءات القرآنية التي وردت تارة بالفصل وأخرى بالوصل وبيان أثرها على النص القرآني عامة وما تشيعه من معانٍ ثوانٍ في بنيته العميقة، فتبين لنا أن الجمل ليست على الوصل أو ترك الوصل (الفصل) البتة، بل هناك مواضع يجوز فيها الفصل والوصل باعتبارين، اعتبار يرجح الفصل وآخر يرجح الوصل، وهذا ما بدا واضحاً جلياً في الآيات القرآنية التي حصل فيها تغاير قرائي، فقُرِئت تارة بالفصل وأخرى بالوصل، مما حملنا على أن ننهج نهجاً خاصاً في توجيهها والإبانة عن جهات الربط فيها غاضين الطرف عن ضوابط البلاغين في هذا الموضوع معاودين النظر فيه من الوجهة الدلالية، فالفصل والوصل هما معنيان أوليان قادانا إلى استشراف معانيهما الثواني التي يرميان إليها في سياقهما ومقامهما، وغاية ذلك استقصاء مقامات الخطاب والإحاطة بها حسبما تتفاوت درجات التلقي وتتنوع أغراض الكلام مع الإيجاز في التعبير عنها، مما يقودنا إلى القول بتنوع المعاني على الموضع الواحد تبعاً لتعاقب أغراضه التي يحتملها سياقه ومقامه، وهذه من السمات الأسلوبية العامة التي شاعت في فرش الحروف في القراءات القرآنية المتواترة.